صورة المرأة في القرآن الكريم مقاربة تداولية في ضوء سياقات الخطاب

The Representation of Women in the Qur'an: A Pragmatic Analysis of Discourse Contexts

هيثم بن عمار [1]

[1]جامعة برج بوعريريج (الجزائر)

haithem.benammar@univ-bba.dz

تاريخ الاستلام: 2026/04/13 **تاريخ القبول:** 2026/05/25 **تاريخ النشر:** 2026/06/26

Abstract: the study guided by acentral research problem articulated as follows: How is the representation of women in the Qur'an pragmatically constructed in light of diverse discourse contexts? Can this representation be adequately understood in isolation from an analysis of the communicative and situational structure of the Qur'anic text? And how does the image of women vary according to different modes of Qur'anic discourse (legislative, narrative, directive, and argumentative)?

The study hypothesizes that the representation of women in the Qur'an is complex and multidimensional, determined by context and communicative situation. It further posits that incorporating a pragmatic perspective enables a more comprehensive reconstruction of meaning, free from reductive or selective readings, thereby highlighting the humanistic and ethical dimensions of Qur'anic discourse in its engagement with issues concerning women.

Keywords: Representation, discourse, context, pragmatics, Qur'an, woman.

الملخص : تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية مؤداها: كيف تتشكل صورة المرأة في القرآن الكريم تداوليًا في ضوء سياقات الخطاب المختلفة؟ وهل يمكن فهم هذه الصورة فهمًا دقيقًا بمعزل عن تحليل البنية التخاطبية والمقامية للنص القرآني؟ وكيف تتنوع صورة المرأة تبعًا لاختلاف أنماط الخطاب القرآني (تشريعًا، وقصصًا، وتوجيهًا، وحجاجًا)؟

وتفترض الدراسة أن صورة المرأة في القرآن الكريم صورة مركبة ومتعددة الأبعاد، تتحدد وفق المقام والسياق، وأن استحضار البعد التداولي كفيل بإعادة بناء الفهم بعيدًا عن القراءات الاختزالية أو الانتقائية، بما يُبرز البعد الإنساني والقيمي للخطاب القرآني في معالجته لقضايا المرأة.

كلمات مفتاحية:صورة، خطاب ،سياق ،تداولية ،قرآن كريم ،مرأة.

المؤلف المرسل: هيثم بن عمار، الإيميل: haithem.benammar@univ-bba.dz

1. مقدمة:

يمثل القرآن الكريم النص المؤسِّس للوعي الإسلامي والمرجع الأعلى في بناء التصور القيمي للإنسان والكون والحياة ، فدراسة صورة المرأة فيه إذن لا تُعد مقاربة موضوعاتية فحسب، بل هي بحثٌ في كيفية تشكّل الرؤية القرآنية للمرأة داخل نظام خطابي محكوم بآليات البيان، ومقتضيات المقام، وسياقات التنزيل ، فالمرأة في القرآن لا تحضر بوصفها كيانا معزولا ولا باعتبارها موضوعًا اجتماعيًا جامدًا، وإنما ترد في بنية خطابية متعدّدة المستويات، تتداخل فيها الأبعاد التشريعية، والقيمية، والسردية، والحجاجية، ضمن شبكة من العلاقات التداولية التي تربط النصّ بمتلقيه الأوّل وبالامتدادات التأويلية اللاحقة.

يحظى موضوع صورة المرأة في القرآن الكريم باهتمام بالغ في الدراسات القرآنية المعاصرة، نظرًا لتقاطعِه مع قضايا التأويل والهوية، والتمثلات الثقافية والاجتماعية ، غير أن كثيرًا من المقاربات السابقة اتسمت إمّا بالطابع الوصفي الذي يكتفي بجمع الآيات وتصنيفها موضوعاتيًا، أو بالقراءة الإيديولوجية التي تُسقط تصورات مسبقة على النص دون استحضار البنية الخطابية والسياقات التداولية التي أنتجت الدلالة ، ومن هنا تبرز أهمية المقاربة التداولية بوصفها إطارًا منهجيًا يعيد الاعتبار للسياق ولمقاصد الخطاب، ولعلاقة المتكلم بالمخاطَب، ولشروط التلفظ التي تتحدد في ضوئها المعاني. وانطلاقًا من هذا التصور نسعى من خلال دراستنا إلى تحليل صورة المرأة في القرآن الكريم في ضوء سياقات الخطاب، باعتبارها صورة لا تتشكل في فراغ دلالي، بل ضمن بنية تخاطبية محكومة بمقامات متعددة: (تشريعية، وسردية، وحجاجية، وتوجيهية) كما تعتمد الدراسة على مفاهيم تداولية أساسية، من قبيل السياق، وأفعال الكلام، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والإشاريات، للكشف عن الكيفية التي يُبنى بها المعنى، وكيف تتحدد صورة المرأة تبعًا لتغير المقام الخطابي.

إن تحليل صورة المرأة في ضوء سياقات الخطاب يقتضي منا استحضار مجموعة من المحددات، وعليه، فإنّ هذه الدراسة تسعى إلى تفكيك البنية الخطابية التي تتشكّل من خلالها صورة المرأة في القرآن الكريم، من خلال مقاربة تداولية تستنطق المقاصد والوظائف والآثار .

2. السياقات الخطابية لحضور المرأة في القرآن الكريم :

لقد تجاوز حضور المرأة في القرآن الكريم التناول الجزئي المرتبط ببعض الأحكام أو القصص، ليغدو عنصرًا فاعلًا في تشكيل البنية الخطابية للنص القرآني ، فالقرآن الكريم بوصفه نصا مؤسسا للمنظومة القيمية والتشريعية في الإسلام، فإنه لا يتناول المرأة باعتبارها كيانًا معزولًا فقط، بل تناول موضوع المرأة ضمن شبكة متعددة السياقات(تشريعية، سردية، أخلاقية، عقدية، اجتماعية) يحيل مفهوم السياق الخطابي يحيل إلى مجموعة من الشروط اللغوية والتداولية والاجتماعية التي تُنتج المعنى وتوجهه داخل البنية النصية (المتوكل، 2010، صفحة 45)وبذلك فإن حضور المرأة في القرآن لا يُفهم في ضوء اللفظ المجرد فحسب، وإنما من خلال السياق الذي يرد فيه الخطاب من جهة ، ونوع العلاقة التي يؤسسها بين النص والمتلقي والوظيفة من جهة أخرى ، ومن هذا المنطلق إذن يمكننا تصنيف حضور المرأة في القرآن إلى سياقات من أبرزها: (السياق التشريعي ، السياق السردي ، السياق الأخلاقي القيمي ، السياق العقدي).

3. المرأة في سياق الخطاب التشريعي:

لقد شكل الخطاب التشريعي في القرآن الكريم أحد أبرز الخطابات التي ورد فيها حضور المرأة ؛ إذ يتوجه إليها بوصفها ذاتا مكلَّفة، وعضوا في الجماعة المؤمنة وطرفا أصيلا في العلاقات الاجتماعية ، ويتميز هذا الخطاب بكونه خطابًا تنظيميًا تقنيا يهدف إلى ضبط العلاقات داخل المجتمع وفق مبدأ العدل وتحقيق المصلحة ،(القرضاوي، 1997، صفحة 112)ويظهر حضور المرأة في هذا السياق ضمن مجالات أساسية:

1.3 المرأة وأحكام الزواج :

من المعلوم أن القرآن الكريم يُؤسس العلاقة الزوجية على مبدأ المودة والرحمة، لذلك يتبدى لنا في هذا السياق أن المرأة ليست موضوعًا للتشريع فحسب، بل هي أكثر من ذلك باعتبارها شريكا في تحقيق السكينة ، ولهذا يتخذ الخطاب بعدا مقاصديًا يعبر عن الغاية من العلاقة الزوجية ، كما في قوله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. (سورة الروم : الآية 21)

كما قد يتوجه الخطاب إلى الجماعة المؤمنة بإلزامية إيتاء المرأة صداقها بما يدل على استقلال ذمتها المالية ،(بن عاشور ، دت، صفحة 227)ويُفهم هذا في سياقه التاريخي باعتباره نقلا للمرأة من وضع التبعية المالية إلى الاعتراف بحقها المالي المستقل ، وهو ما يؤكد القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ . (سورة النساء: الآية 04)

2.3 المرأة في سياق الطلاق والعدة :

يتميز خطاب المرأة في القرآن الكريم المتعلق بالطلاق بطابع تنظيمي دقيق، لذلك فغالبا ما يلاحظ أن _الخطاب_ وإن وُجه ظاهريا إلى الرجال، فإنه يتضمن حماية لحقوق المرأة من خلال ضبط زمن الطلاق وآلياته ، فالعدة ليست قيدًا عقابيًا، بل نظامًا يحفظ النسب ويضمن الاستقرار الأسري كما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. (سورة الطلاق : الآية 01)

وقد يكون الخطاب ذو طابع أخلاقي-تشريعي، يجمع بين التقنين والتنبيه إلى البعد القيمي، مما يعكس تكامل التشريع مع الأخلاق في المنظور القرآني ،كما يؤكد القرآن على عدم الإضرار بالمرأة في هذا السياق وذلك في قوله تعالى:﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ . (سورة البقرة : الآية 231)

3.3 المرأة ونظام الميراث :

يشكل نظام الميراث في خطاب المرأة في القرآن الكريم نقلة نوعية لما أقره للمرأة من نصيب مفروض ، خاصة بعد أن كانت محرومة منه في الجاهلية ، ويتمثل ذلك في قوله تعالى :﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ . (سورة النساء : الآية 08)

فالملاحظ هنا أن الخطاب يتأسس على مبدأ الاستحقاق لا على التمييز ، أما فيما يخص مسألة التفاوت في بعض الحالات كقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ ،(سورة النساء : الآية 11) التي نرى بأنها واردة في سياق نظام مالي متكامل يقوم على توزيع الأعباء والالتزامات، (الزحيلي، 1985، صفحة 18) ومن ثمّ فإن فهم هذا الحكم لا ينفصل عن البنية الاجتماعية التي يُلزم فيها الرجل بالإنفاق.

4.3 المرأة والشهادة :

الخطاب في هذا السياق تنظيمي إجرائي مرتبط بسياق معين، وليس حكمًا تقويميًا عاما في قدرات المرأة ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ (سورة البقرة : الآية 282)

فالملاحظ يرى أن النص يرد في سياق المعاملات المالية لا في عموم الشهادات، وهو ما يؤكد ضرورة قراءة النص في سياقه الخاص ، وقد علل بعض المفسرين ذلك بطبيعة الخبرة المالية في البيئة الأولى. (القرطبي، صفحة 383)

وفي الأخير نقول أنه قد تبين لنا من خلال تحليل السياق التشريعي أن حضور المرأة في القرآن الكريم حضور مؤسس على الاعتراف بإنسانيتها الكاملة، وذمتها المالية المستقلة، وأهليتها في التملك والتكليف ، كما يتسم الخطاب التشريعي بطابع مزدوج: تقني وأخلاقي، إذ يجمع بين تنظيم العلاقات والتنبيه إلى مقاصد العدل والرحمة.

4. المرأة في السياق السردي القصصي في القرآن الكريم :

يتميز القصص القرآني بخصوصية تجعله خارج التصنيف الأدبي المحض؛ فالخطاب القرآني ليس سردا تخييليا غايته المتعة الجمالية فحسب، بل هو خطاب هادف يتوسل بالبنية الحكائية لإنتاج المعنى العقدي والتربوي ، ومن ذلك إذن فقد كان حضور المرأة في هذا السياق بوصفه مكونا بنيويا داخل النسق الدلالي العام.

وقد نبه بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن إلى أن القصص القرآني يقوم على مبدأ "الاقتصاد والانتقاء"، أي ذكر ما يخدم المقصد ، كما أكد جلال الدين السيوطي في الإتقان في علوم القرآن أن التكرار في القصص القرآني ليس تكرارا آليا، بل إعادة بناء للحدث وفق سياقات تداولية متغايرة.

5. البنية السردية وتموضع المرأة داخلها :

لا تظهر المرأة في السرد القرآني بوصفها عنصرا هامشيا ، بل تؤدي أدوارا بنيوية ودلالية مركزية تختلف باختلاف السياق والمقام ، فإذا انطلقنا من النموذج البنيوي للحكاية (توازن ⟵ اختلال ⟵ صراع ⟵ انفراج)، فإن المرأة في القصص القرآني قد تحتل: (موقع المحرّك الأول للحدث ، موقع العقدة الدرامية (العنصر المفجّر للاختلال) ، موقع النموذج القيمي (المِثال) .

6. المرأة بوصفها فاعلًا مُنشِئًا للحدث :

يعد تموضع المراة في مركز الحدث السردي داخل القران الكريم من ابرز المظاهر التي تكشف عن خصوصية البنية القصصية القرآنية ، فالتصوير الفني السرد القرآني اذن وكما أشار السيد قطب يقوم على التركيز الدلالي والتكثيف المشهدي ، وفي هذا السياق حين تتصدر المراة الحدث فان ذلك لا يكون من باب التزيين الحكائي بل من باب التأسيس الدلالي لمسار القصة ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك :

1.6 نموذج مريم المحورية الوجودية والعقدية :

يمثل حضور مريم في سياق القرآن الكريم ذروة التمركز السردي للشخصية النسوية ، إذ تبنى القصة على تجربتها الفردية بوصفها لحظة ابتلاء واصطفاء معا ، يقول تعالى ﴿ وَٱذكُر فِي ٱلكِتَٰبِ مَريَمَ إِذِ ٱنتَبَذَت مِن أَهلِهَا مَكَانا شَرقِيّا ﴾(سورة مريم : الآية 16)ويقول كذلك ﴿ فَأَجَاءَهَا ٱلمَخَاضُ إِلَىٰ جِذعِ ٱلنَّخلَةِ قَالَت يَٰلَيتَنِي مِتُّ قَبلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسيا مَّنسِيّا﴾(سورة مريم : الآية 23)

فالملاحظ في السياق السردي السابق أن السرد يفتتح باسمها تصريحا بما يعنيه قطبا الحكاية ، فالمشاهد تتدرج من العزلة إلى البشارة فالمخاض فالمواجهة ،فتتشكل العقدة حول وضعها الاجتماعي وامتحانها الوجودي ، فهي مُولّدة الأزمة ومجال الانفراج المعجز، فتداوليا يعاد بناء مفهوم الطهارة والاصطفاء عن تجربة امراة فيتحقق المقصد العقدي من داخل ذات نسوية متصدرة للحدث .

2.6 أم موسى منشئة بداية الحدث في القصة الموسوية :

تتبوأ المرأة موقع الفاعل المنشئ للحدث الذي تنطلق منه حركة السرد وتتأسس عليه باقي الوقائع ، فشخصية أم موسى عليه السلام تمثل نقطة الانطلاق في القصة الموسوية ، فقد صور القرآن الكريم حالة الخوف والقلق التي عاشتها أم موسى في ظل سياسة فرعون القائمة على قتل المواليد من بني إسرائيل ، وهي سياقات تاريخية واجتماعية تؤسس للخلفية الدرامية للسرد يقول تعالى ﴿ وَأَوحَينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرضِعِيهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَيهِ فَأَلقِيهِ فِي ٱليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلمُرسَلِينَ ﴾(سورة القصص : الآية 07)

تتجلى هنا أم موسى داخل البنية السردية بوصفها فاعلا منشئا لبداية الحدث ، حيث أسهم فعلها في تأسيس المسار الحكائي الذي ستتطور عبره القصة، كما يعكس هذا التموقع السردي حضورا دلاليا عميقا لشخصية المرأة في الخطاب القرآني، إذ تتقاطع في هذا المشهد معاني الأمومة والخوف والثقة بالوعد الإلهي مما يمنح السرد بعدا إنسانيا وقيميا يتجاوز حدود الحكاية إلى بناء رؤية أخلاقية وروحية متكاملة .

3.6 امرأة فرعون منشئة حدث النجاة :

تظهر في الخطاب السردي القرآني بعض الشخصيات بوصفها عناصر حاسمة في إحداث التحول السردي ، إذ يؤدي تدخلها إلى تغيير مسار الحكاية وإطلاق مرحلة جديدة من تطورها ، فامرأة فرعون التي تتبوأ موقعا مهما داخل القصة الموسوية تمثل فاعلا سرديا أسهم في إنشاء حدث النجاة الذي ترتبت عليه تحولات كبرى في مسار السرد .

ففي سياق الأحداث تتدخل امرأة فرعون في لحظة سردية حاسمة لتغير مسار الحدث في قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱمرَأَتُ فِرعَونَ قُرَّتُ عَينٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدا وَهُم لَا يَشعُرُونَ﴾(سورة القصص : الآية 09)، فالملاحظ يرى أن هنالك لحظة مفصلية في البناء السردي ، فخطاب امرأة فرعون لم يكن مجرد كلام عاطفي بل مثل فعلا تداوليا مؤثرا أسهم في تغيير القرار الذي كان سيؤدي إلى قتل الطفل ، فاستعمالها أسلوب الإقناع القائم على العاطفة وعلى التعديل الاحتمالي استطاعت أن تحول دون وقوع القتل وبذلك أصبحت سببا مباشرا في إنشاء حدث النجاة .

7. المرأة محور التحول الدرامي :

يُعد حضور المرأة في القرآن الكريم حضورا دلاليا فاعلا يتجاوز البعد السردي إلى أداء وظيفة درامية محورية في بناء الحدث وتوجيه مساره ، فالمرأة في النص القرآني ليست عنصرا هامشيا، بل تنهض بدور مركزي في إحداث التحول الدرامي داخل القصص، سواء من خلال الفعل المباشر أو عبر مواقفها النفسية والأخلاقية التي تُسهم في تعميق الصراع وتكثيف الحبكة ، ويتجلى ذلك في نماذج

متعددة حيث تتحول المرأة إلى بؤرة للتغيير تسهم في نقل الحدث من حالة الاستقرار إلى التوتر، أو من الأزمة إلى الانفراج، بما يعكس أبعادًا إنسانية وقيمية عميقة.

1.7 المرأة كفاعل في تأزم الحدث الدرامي :

يعد تأزم الحدث الدرامي مرحلة محورية في البناء السردي، إذ ينتقل فيها الحدث من حالة التوازن إلى التوتر والتعقيد، بما يهيئ لتنامي الصراع وتكثيف الدلالة، وفي القصص القرآني تنهض المرأة بدور فاعل في إحداث هذا التأزم، حيث تُسهم أفعالها ومواقفها النفسية في تفجير بؤر الصراع ودفع الحدث نحو ذروته ضمن سياق يخدم المقاصد القيمية والتربوية للنص.

ويتجلى ذلك بوضوح في قصة امرأة العزيز في سورة يوسف، التي تمثّل نموذجًا بارزًا لتأزم الحدث الدرامي؛ إذ شكلت مراودتها ليوسف عليه السلام نقطة تحول حاسمة نقلت السرد من حالة الاستقرار داخل بيت العزيز إلى حالة صراع أخلاقي ونفسي حاد، قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾(سورة يوسف : الآية 23)،فهذه المبادرة لم تكن مجرد حدث عابر، بل مثّلت لحظة تفجير درامي أدت إلى سلسلة من التعقيدات(انكشاف الأمر، شهادة الشاهد، سجن يوسف) ، وهو ما يعكس قدرة الشخصية النسوية على خلق توتر سردي متصاعد (ابن كثير ، صفحة 391)

كما يتعمق هذا التأزم في مشهد النسوة، حيث يتحول الفعل الفردي إلى ظاهرة جماعية تُضاعف من حدة الصراع، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾(سورة يوسف : الآية 31)، فهنا تُسهم النسوة في إعادة إنتاج الأزمة وتوسيع دائرتها، بما يضفي على الحدث بُعدا اجتماعيا يعمّق التوتر ويزيد من تعقيد الحبكة. (الطبري، دت، صفحة 221)

ومن جهة أخرى يظهر دور المرأة في تأزم الحدث من خلال البعد النفسي، كما في قصة امرأة نوح وامرأة لوط، حيث يتجلّى الصراع في مستوى عقدي وأخلاقي، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ (سورة التحريم : الآية 10)فخيانتهما العقدية تُسهم في تأزم الوضع الرسالي للنبيين، وتكشف عن توتر داخلي بين الدعوة والبيئة القريبة، مما يضفي على الحدث بعدًا دراميًا عميقًا يتجاوز الظاهر إلى الباطن.

فالمرأة في هذه النماذج لا تقدم بوصفها عنصرا تابعا، بل باعتبارها فاعلا سرديا يُنتج التأزم ويُعيد تشكيل مسار الحدث، سواء عبر الفعل المباشر أو عبر الموقف النفسي والعقدي، وهو ما يعكس ثراء البنية الدرامية في القصص القرآني، وقدرتها على توظيف الشخصيات النسوية في بناء صراع مركّب ذي أبعاد إنسانية وأخلاقية. (القرطبي، دت، صفحة 195)

2.7 المرأة كفاعل في انفراج الحدث الدرامي :

تظهر المرأة في بعض القصص القرآني بوصفها وسيطًا يُفضي إلى حل الأزمة وكشف الحقيقة، كما في قصة امرأة العزيز في سياق قصة يوسف عليه السلام ، فبعد مرحلة التأزم التي بلغت ذروتها باتهام يوسف، يأتي لحظة الانفراج عبر اعترافها الصريح ، قال تعالى:﴿قَالَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(سورة يوسف :الآية 51)يمثل هذا الاعتراف تحولا دراميا حاسما، إذ ينتقل الحدث من حالة الالتباس والظلم إلى حالة الوضوح والإنصاف، فتُفك العقدة السردية ويتحقق الانفراج، وهنا تتجلى المرأة بوصفها فاعلا حاسما في إعادة التوازن الأخلاقي والسردي.

8. المرأة في سياق الابتلاء والثقة بالوحي :

تُقدم الدراسات القرآنية المرأة باعتبارها فاعلًا مهمًا في مواقف الابتلاء، حيث يُبرز القرآن قدرتها على مواجهة الاختبارات الإلهية بالثقة والاعتماد على الوحي. فالابتلاء هنا لا يُنظر إليه كعقوبة، بل كآلية لتثبيت الإيمان وتقويم السلوك، بينما يُمثل الوحي مرشدًا للتصرف الصحيح في الظروف الصعبة.

1.8 مريم عليها السلام: الابتلاء الاجتماعي والثقة بالوحي :

تعد مريم عليها السلام من أبرز النماذج القرآنية التي تجسّد الابتلاء المركّب (النفسي والاجتماعي)، حيث واجهت محنة الحمل دون زوج، وهو ما وضعها في مواجهة مجتمعها يقول تعالى:﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ (سورة مريم : الآية 22) ، تعكس هذه الآية ذروة التوتر الدرامي، إذ يمثل "الانتباذ" انسحابًا وجوديًا مؤقتًا بفعل وطأة الابتلاء ، غير أن التحول يأتي عبر الوحي الذي يوجّهها ويثبّت قلبها كما في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (سورة مريم : الآية 25)، فالآية تؤسس لجدلية الفعل البشري والعون الإلهي؛ إذ لم يُلغِ الوحيُ الفعلَ الإنساني، بل دعّمه، بما يعكس أن الثقة بالوحي لا تعني السكون، بل العمل في ظل اليقين.

2.8 آسيا امرأة فرعون: الابتلاء السياسي والثبات الإيماني :

تمثل آسيا امرأة فرعون نموذجًا للمرأة التي تعيش داخل بنية الاستبداد، لكنها تتجاوزها بالإيمان. يقول تعالى: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾(سورة التحريم : الآية 11)، يتجلى الابتلاء هنا في كونه ابتلاء سلطويا قهريا، حيث تعيش آسيا تحت طغيان فرعون، ومع ذلك تُعلن انحيازها للوحي والإيمان ، وتكشف الآية عن تحوّل الوعي من الواقع الأرضي إلى الأفق الأخروي، بما يعكس عمق الثقة بالله، وقدرة المرأة على مقاومة القهر عبر اليقين الروحي.

3.8 أم موسى: الابتلاء العاطفي والثقة المطلقة بالوحي :

تجسد أم موسى نموذجًا فريدًا للابتلاء العاطفي، حيث تُؤمر بإلقاء رضيعها في اليم، وهو أمر يتعارض مع الفطرة الإنسانية. يقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾(سورة القصص : الآية 07)، تتجلى هنا ذروة الابتلاء، إذ يُطلب من الأم أن تتجاوز غريزتها، لكن الوحي يقدم لها ضمانا إلهيا يقول تعالى ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

فالاستجابة لهذا الأمر تمثل أعلى درجات الثقة بالوحي، حيث يتحول الخوف إلى طمأنينة بفعل الوعد الإلهي، ما يعكس توازنًا دقيقًا بين الضعف الإنساني والهداية الربانية.

9. خاتمة:

تكشف إذن هذه النماذج عن أن المرأة في القرآن الكريم ليست عنصرًا ثانويًا في سياق الابتلاء، بل هي فاعل مركزي يُعيد تشكيل الحدث من خلال الثقة بالوحي ، فالابتلاء يتخذ أشكالًا متعددة (اجتماعي، سياسي، عاطفي)، غير أن القاسم المشترك بينها هو حضور الوحي كقوة موجهة ومثبتة، بما يمنح التجربة النسوية بعدًا روحيًا ودراميًا عميقًا.

قائمة المصادر والمؤاجع

1. يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة،(ط1) ، القاهرة،مصر ، 1997، ص 112.
2. سورة الروم : الآية 21.
3. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،(ط1) ، تونس،(دت)، ج4، ص 227.
4. سورة النساء : الآية 04.
5. سورة الطلاق : الآية 01.
6. سورة البقرة : الآية 231.
7. سورة النساء : الآية 08.
8. سورة النساء : الآية 11.
9. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر،(دط) ، دمشق، سوريا، 1985، ج7، ص 18.
10. سورة البقرة : الآية 282.
11. أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية،(دط) ، القاهرة، مصر ، ج3، ص 383.
12. سورة مريم : الآية 16.
13. سورة مريم : الآية 23.
14. سورة القصص : الآية 07.
15. سورة القصص : الآية 09.
16. سورة يوسف : الآية 23.
17. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة،(دط) ، الرياض، السعودية ، ج4، ص 391.
18. سورة يوسف : الآية 31.
19. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر،(دط) ، القاهرة،مصر ، (دت) ، ج12، ص 221.
20. سورة التحريم : الآية 10.
21. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية،(دط) ، القاهرة، مصر ،(دت) ، ج18، ص 195.
22. سورة يوسف :الآية 51.
23. سورة مريم : الآية 22.
24. سورة مريم : الآية 25.
25. سورة التحريم : الآية 11.
26. سورة القصص : الآية 07.
27. سورة القصص : الآية 07.